



حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

تقرير جلسة

تحولات الطبقة الوسطى في سوريا

تناولت جلسة هذا الأسبوع من برنامج الأربعاء السوري بتاريخ 16 تشرين الأول 2019 موضوع "تحولات الطبقة الوسطى وأدوارها في سوريا"، حيث تم التطرق إلى الحديث عن هذه الطبقة في العديد من الجلسات السابقة فكان بحاجة إلى تفصيل وتوضيح أكبر ولهذا تم إفراد جلسة للحديث حول تقلبات الطبقة الوسطى ووضعها الراهن، والمعروف أن شريحة اتساعها قد بدأت تتقلب منذ أيام الانقلابات العسكرية، وصولاً إلى الحرب الحالية التي أثرت على كل الطبقات.

افتتحت الجلسة بوضع محددات الحوار والأسئلة الرئيسية التي سيدور حولها النقاش:

فهناك تساؤلات في الأساس حول وجود طبقة وسطى حالياً في سوريا من عدمه، وحول انفراد المعيار الاقتصادي بكونه محدداً لها، ولكن حتى إن كانت هذه الطبقة قد انسحقت اقتصادياً، أين يكمن الآن دورها الاجتماعي الذي كان محركاً للمجتمع وصمام أمان له؟

وبالنظر إلى تاريخ سوريا يمكن القول أنه لم يكن هناك رأسمالية وإقطاعية عالية لدينا، وقد بقيت البرجوازية السورية في تفكيرها ونمط عملها أقرب للطبقة الوسطى، وفي أحد التعريفات يتم اعتبار الكتلة الوطنية في الخمسينات طبقة وسطى مدنية، كما أن الانقلابات العسكرية جعلت أشخاصاً آخرين يعبرون عن أنفسهم بأنهم طبقة وسطى وهؤلاء كانوا طبقة محرومة من التعليم والملكية.

فهل يعني هذين النوعين كونهم طبقة وسطى؟ وكيف يمكن إعادة الحيوية لوجودهم وأدوارهم والبناء على هذه الوعي في المصالحات والتنمية وغيرها؟

كما نحاول في هذه الجلسة إيجاد التعريفات غير الأكاديمية للطبقة الوسطى، ومحاولة تحديد المعنى السوري لهذا المفهوم بحيث يكون المعيار الأساسي له هو توحيد المصالح، وإيجاد التمايزات بين القطاع الخاص والطبقة الوسطى والرأسمالية الاحتكارية، لربما تكون هذه المصالح أداة تمييز الطبقة الوسطى وتشكيل وعيها بنفسها ودفعها للتعبير وتحصيل حقوقها.

وبالنقاش تم طرح النقاط التالية:

في السياق التاريخي لوجود الطبقة الوسطى وتطورها:

- منذ أن بدأ الإصلاح الزراعي كان توزيع الملكيات وهي الأراضي بشكل يحقق العدالة للاستثمار الزراعي بين أسر الفلاحين، ومنذ عام 1958 تجزأت الأرض عدة مرات وبالتالي فالأرقام التي وضعت في قانون الإصلاح الزراعي كانت وحدة رأسمالية جيدة لتمنح دخل جيد للأفراد، أنشئت طبقة وسطى في





حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

المناطق الريفية نتيجة توزيع الأراضي وكانت تكفي لإعالة أسرة ريفية بشكل منطقي، بالمعنى الاجتماعي في الريف هناك مشكلة وجودية وبالتالي فالعادات والتقاليد وموضوع العشائرية التي لم تسمح بتشكيل طبقة وسطى إلا بفكر اقتصادي وليس اجتماعي.

- كان هناك مشكلتين، الأولى هي تجزئة الحيازة فيما بعد وبالتالي هذه الحيازة لم تعد كافية لتأمين الدخل للأسرة فتجزأت الأسرة لجزأين، جزء يعمل في الأرض وجزء خارجها، إما في الدولة أو في وظيفة قطاعية، وانتقل إلى المدينة، وهنا انحدر إلى الطبقة الفقيرة وليس الوسطى، لأنه سكن في هوامش المدينة في مناطق المخالفات التي تحولت لبؤر استوطن فيها كل الفقراء، الفئة الثانية هي الناس الذين اتجهوا إلى المدينة وأصبح لديهم هناك نزعة وجودية تجعلهم لا يرغبون في العودة إلى الريف فحتى قبل الحرب كان لدينا طبقة وسطى لكنها كانت مضطهدة برأسمالياتها الضعيفة وفي نفس الوقت ليس لها قوة في المجتمع ولا تؤثر بالشكل المطلوب، خلال الحرب انحدرت نتيجة التدهور الاقتصادي لكنها أصبحت أقوى اجتماعياً وصارت تتحدث وتفكر أكثر ولها مشاركة أكبر مع المجتمع.

- قبل التراكم الرأسمالي العالمي كان لدينا طبقة أرستقراطية إقطاعية ليست برجوازية تملك أراضي وقوة عمل فلاحية وهناك فئات حرفية، التغلغل الرأسمالي المترافق مع الاستعمار الأوروبي في القرن العشرين نقل المجتمع وحول الارستقراطية الإقطاعية إلى شكل من أشكال الرأسمالية، تم التحول بين نمط يقوم على الزراعة والفلاحة إلى نمط يزواج بين ملكيات إقطاعية بائدة فتتها الإصلاح الزراعي مثلاً إلى شكل من أشكال الرأسمالية التي هي في العمق وسيطة بين بلدان الشرق وبلدان المستعمر وليست رأسمالية أصيلة.

- في خضم هذا التحول كانت الطبقة الأكثر حساسية للتغيير هي الطبقة الوسطى وكل الحركات التي قامت في العالم الثالث أو الأول حتى هي الحركات التي تنشأ من رحم الطبقة الوسطى.

- في الفترة ما بين 2000 و 2011، نشأت طبقة وسطى في الريف متعلقة بموضوع الاغتراب والسفر إلى السعودية والخليج، خلال هذه الفترة نشأت شركات جديدة منها سيريتل وإم تي إن وظهرت البنوك والمصارف والاستثمارات التي دخلت إلى البلد على حوافها كان هناك موظفين يتقاضون رواتب جيدة وصاروا يشكلون بؤر طبقة وسطى أو نواة في المجتمع لأنهم كانوا مختلفين عن غيرهم حيث أنهم لم يرتبطوا بمؤسسات الديمقراطية الشعبية مثل البعث والشبيبة وغيرها، وحين جاءت الحرب كان أجزاء منهم ناشطين في المجتمع لكن في وسط الحرب أغرفت هذه الطبقة إما بسبب السفر أو غيره، وبدأ أفراد جدد يدخلون إلى الطبقة الوسطى خاصة عن طريق العمل في الجمعيات والمنظمات فتم إعادة صياغة الطبقة الوسطى في سوريا نتيجة الحرب.

- بناء على دراسة أجراها عدد من الخبراء عام 2002 بالاشتراك مع الأمم المتحدة حول مفهوم الطبقة الوسطى وخط الفقر، وجد أن لا أحد في سوريا يعتمد على مصدر دخل واحد وهذا يُخرج الكثيرين من الطبقة التي لا تملك وتعمل ويدخلها في الطبقة الوسطى، وهذه الطبقة كانت في أوجها في بداية القرن حتى 2010 وتشكلت بسبب خيرات البلاد وبسبب ضخ البلاد العشوائي لتشكيل طبقة وسطى، لكن كان





حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

المفروض أن توجد مشاريع إنمائية عملاقة تشكل طبقة وسطى حقيقية، وهجوم الناس نحو القطاع العام بسبب عدم الأمان والاستقرار في القطاع الخاص وعدم تساوي الميزات سبب أيضاً خلل في نظام العمل ونسب البطالة، وهذا أيضاً تسبب في هجرة آلاف الأدمغة خلال الأزمة التي شكلت مشاريع متوسطة وصغيرة وهي حلم كل الدول في العالم لأنها تشغل أكبر عدد من الناس.

- الأحزاب كانت بشكل ما جزء من وعي الطبقات الوسطى لنفسها ولمصالحها، في مرحلة سابقة في سوريا كنا نستطيع القول أن هناك خطاب مصالح مشتركة بين الطبقة الوسطى وعملياً كان سعيها للتغيير هو من خلال هذه الأحزاب التي حاولت الارتقاء لامتلاك السلطة.
- مرت الطبقة الوسطى بعدة مفاصل، مفصل الاستقلال ومفصل عام 1958 عند حكم عبد الناصر والتأميم وقانون الإصلاح الزراعي، ثم مفصل ثورة البعث، والثمانينات عند ارتفاع سعر صرف الدولار وفي التسعينات حرب الخليج، مفصل بعد عام 2000 ومفصل آخر بعد عام 2007 وموجة الحر والتصحر في المنطقة الشمالية التي حولت أبناء تلك المنطقة من العشائر الذين كانوا طبقة وسطى فما أعلى إلى عمال في دمشق أو حلب.

مفهوم الطبقة الوسطى، مميزاتها وسماتها:

- من أهم مميزات الطبقة الوسطى هي سعيها للتعليم وهناك أمر كان يلاحظ هو تحصيل للناس للشهادات ثم سفرهم خارج البلد
- مصطلح الطبقة الوسطى فضفاض في علم الاجتماع، لكن هذه الكلمة جاءت لتغطي مفهوم دقيق بالمعنى الاقتصادي وهو مفهوم البرجوازية الصغيرة، في أوروبا بعد الثورات الصناعية نشأت طبقة استفادت من سيطرتها على رأس المال الاجتماعي وبالمحصلة أصبح هناك طبقتين أساسيتين، طبقة تملك ولا تعمل وهي البرجوازية وطبقة تعمل ولا تملك وهي البروليتاريا. في كل مجتمع بين هذين الحدين الأساسيين هناك فئات بينية أو شرائح تسمى البرجوازية الصغيرة وميزتها أنها تملك وتعمل، هذه الشرائح لديها كتلة نقدية صغيرة لا تستطيع أن توظفها وتعيش منها فهي مضطرة للعمل لكنها أيضاً لا تباع قوة عملها للآخر وبالتالي توظفها بنفسها.
- بنقل هذا المفهوم إلى مجتمعاتنا نجد أن هؤلاء هم المهنيون وأصحاب الحرف الموجودين في مدن الشرق، فالطبقة الوسطى المشرقية التي لم تشهد تراكم رأسمالي كما في أوروبا هي طبقة كثيفة وممتدة.
- هذه الطبقة لديها ترف التفكير في التغيير ولديها الرغبة الشديدة في أن تملك وهذه الجدلية أعطتنا كل الحركات الفكرية والسياسية سواء في الغرب أو هنا. الأحزاب التي رافقت وجود الاستعمار في الخمسينات مثل حزب الشعب والحزب الوطني يعبرون موضوعياً عن الارستقراطية الاقطاعية المتحولة، الفرق أنها لم تنتهز الفرصة من الحركات البرجوازية الصغيرة الصاعدة وعلى رأسها حزب





حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

البعث والحزب القومي السوري وحتى الحزب الشيوعي، من هنا نفهم لماذا جاء حزب البعث ولاقى قبول أثناء صعوده.

- للبرجوازية الصغيرة دائماً طورين، الطور الصاعد الثوري الذي تعبر فيه عن كل المصالح الشعبية لأنها جزء منها والطور الهابط تتحول فيه عبر آلية الدولة لتكون شكل من أشكال الرأسمالية المرتبطة بالبرجوازية في الغرب. في هذه المرحلة يبدأ عصر لا تقدم فيه شيئاً للتاريخ لأن البرجوازيات الناشئة تحولت لكن هناك برجوازيات صغيرة ما زالت تنمو وهذه يصبح لديها بذور حركات تمردية عنيفة لأن بطبيعة الأولى المتحولة أن تسد منافذ الحريات لأنها تعرف مخاطرها، فتصادر حريات وتحل الأحزاب وتمنع قانون تشكيل جمعيات وما شابه ومن هنا تولد آليات مقتلها كمعبرة عن مجتمع معين وتصنع حفاري قبورها بشكل تمردى وثأري وهذا يولد مناخات للانقسامات العمودية في المجتمع قوميات وأديان وطوائف وغيره.
- في مجتمعات العالم يتم تقييم الطبقات من حيث دخل الفرد ومصرفه، فالتناسب بينهما يجعل المجتمع منتج، الدراسات ما بعد الربيع العربي تقول أن الطبقة الوسطى انحدرت وهذا بسبب التضخم المالي بعد الحرب الذي أثر على طبيعة الحياة. ما يهمنا بعيداً عن فكرة صراع الطبقات هو أن يعيش الفرد بكرامته ويؤمن حياته ويطور في المجتمع.
- في الاقتصاد الطبقة الوسطى في مجتمعاتنا متقلبة بحكم أنهم لم يلحقوا بالثورة الصناعية والتجارية مثل أوروبا وثانياً بسبب الدكتاتوريات في العالم الثالث التي أثرت على وضعها، هناك مرحلتين مرت بهما الطبقة الوسطى في سوريا، أولاً الدولة تدخلت لتجعل الموظفين طبقة وسطى لكن هذا كان خطأ منها، لأنها أخذت الحمل كله في غياب عملية تنموية حقيقية، وفي ظل وجود البيروقراطية والفساد وغياب المنهاج الاقتصادي الحقيقي.
- بلادنا ليست فقط زراعية وإنما صناعية أيضاً بل وعليها الاستثمار في القيم الاقتصادية الجديدة، ونحن نشكل بيروقراطيتنا وتخلفنا عامل في عدم وجود طبقة وسطى، في أوروبا هناك قاعدة حقيقية في ظل وجود استقرار سياسي ووجود الديمقراطية، لذا هناك طبقة تقبع بين الرأسمالية والطبقات الدنيا. حتى أن هناك تعاضد بين الطبقة الوسطى وبين البرجوازية.
- هناك تكامل بين الزراعة والصناعة فلم يكن يجب أن يحصل الجدل بين أولوية أحدهما على الآخر، الزراعة تحتاج إلى صناعة زراعية ولا يوجد دولة تعيش على الزراعة فقط، وبالتالي في بناء المجتمع كان لدينا سياسات اقتصادية غير واضحة لربط الزراعة بالصناعة وبالمجتمع وتؤسس لقاعدة اجتماعية تتأسس بشكل صحيح، وليس لدينا تطبيق للقانون.
- لم يعد مفهوم الطبقة التي تملك ولا تعمل موجوداً وهو كان خاصاً بالاشتراكيات التي زالت منذ زمن نتيجة استثمارها في الوضع السياسي وبالتالي تم إلغاء الطبقة الوسطى كما يحدث في كثير من البلدان، في عام 2009 مثلاً كان هناك أكثر من 80 ألف ورشة تصنيع في حلب وكان أكثر من 60 ألف منها



حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

يعمل بشكل سري لعدم حصولهم على التراخيص اللازمة نتيجة البيروقراطية، وهذا يشكل فوضى في الطبقة الوسطى.

- مفهوم الطبقات الوسطى اليوم أو البرجوازية الصغيرة أو الشرائح البينية، يتضمن الذي يبدع بفكره والذي يمتلك حانوت والذي يمتلك أرض ويعمل بها، لذا فقد تغير المفهوم من أن يكون مجرد طبقة تقع بين البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الكبيرة لأن تتنوع من الذي يعمل بأرضه لمصلحته الشخصية وصولاً إلى أصحاب الياقات البيضاء.
- المجتمع بأكثرية هو الإطار الذي يجمع هذه الفئات، وداخل هذا الإطار أصبح لدينا حركة نزوح بمعنيين، قسم منه نتيجة الحرب وما يتولد عنها صعد للطبقة العليا وقسم انحدار للطبقة الدنيا، وهناك قسم هُجّر، وأصحاب الكفاءات والطلاب والجيش، فأصبح لدينا فراغ قاتل في هذه الفئات.
- هناك حاملان أساسيان لمشكلان للطبقات اليوم، الأول هو الحامل الاقتصادي والثاني هو سوية التعليم، ولذا كان العامل الاقتصادي في سوريا أكثر موجه للطبقات كون التعليم موجه للجميع وهو شعبي وليس نخبي.
- الدور الأساسي للطبقة الوسطى عبر الزمان ليس فقط في سوريا وإنما في أي منطقة أنها المحرك، كونها الطبقة التي أتيح لها مستوى جيد من التعليم، وما يحركها هو مصالحها وسعيها للانتقال إلى طبقة أعلى. في عام 2011 حصل هبوط لنسبة كبيرة من أبناء الطبقة الوسطى إلى ما هو أعلى قليلاً من الفقر، فحسب استبيان يعتبر ان نسبة طبقة الوسطى اليوم لا تتعدى 9 بالمئة.
- البروليتاريا لم تكن يوماً طبقة محركة وإنما يتم تحريكها دوماً من قبل طبقات أعلى منها وهي تعيش اليوم في الضواحي أو في العشوائيات والهوامش، والمحرك لها هو الحقد أو ردة الفعل أكثر من الوعي، فالיום الطبقة الوسطى هي المحركة والطبقة الرأسمالية تدعم التحريك إذا كان لصالحها.
- الطبقة الوسطى لدينا ليست متجانسة، لأن توجهاتها ليست متقاربة. المد العمراني على الريف الذي قضى على الملكيات الريفية وأنشأ ملكيات عقارية أنشأ أيضاً طبقة وسطى جديدة بمفاهيم فلاحية فهي لا تملك الوعي، كما أن الطائفية تحكم أيضاً الطبقة الوسطى وتؤثر فيها.
- الطبقة الوسطى لدينا غير نوعية ولم تصنع أثراً واضحاً على الأرض.
- نشأت الجمعيات والمنظمات والفرق والمبادرات بعد 2011 ولم تستطع تشكيل طبقة وسطى ضاغطة وإنما نخب اجتماعية مغلقة ليس لها أثر على الأرض والناشطين أصبحوا نخب بشكل ما.





حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

أبرز الإشكاليات:

- هناك معضلة أساسية هي أن الطبقة العليا أو البرجوازية المالكة لرأس المال الأساسي متحالفة مع النفوذ، وهي طبقة بحاجة للحفاظ على مصالحها، ولذا نحتاج مخرج ليس فوق أي أن لا تتحول الحركات إلى احتجاجية وإنما ان يكون لديها الوعي بنفسها لتمثل شيئاً.
- هناك تساؤل عن وضع الأسواق في سورية، في كل سوق حوالي 500 محل أو أكثر، هؤلاء أشخاص يملكون ويعملون، أي تعريفياً هم طبقة وسطى، لكنهم لا يندمجون مع مصالح تنويعية أخرى من تنويعات الطبقة الوسطى، وهم منتشرون انتشار قوي في سوريا وعصب أساسي في المجتمع.
- لدينا مشكلتين جعلتا المواطن بحاجة لعمل إضافي حتى عندما كانت الرواتب جيدة نسبياً، الأولى عدم وجود سياسة اقتصادية واضحة وتنظيم مجتمعي حقيقي، ومشكلة أن القطاع غير منظم وليس لدينا بيانات إحصائية عن المجتمع وتحولاته حتى نحسب مستوى الفقر والدخل وغيره.
- الدولة كانت في فترة ما تمنح رواتب عالية لكن ليس هناك تقييم للأداء وجودة العمل لذا كان لدينا بطالة مقنعة معروفة، وبالتالي الطبقة الوسطى لدينا موجودة سواء كانت مالكة وتعمل أو تعمل وغير مالكة لأن الاستقرار موجود لكن قدرة التدخل في المجتمع تكون لدى الذي يعمل ويملك.
- تدخل الطبقة في المجتمع يكون بتشكيل التجمعات والنقابات والتعاونيات والمؤسسات الخاصة التي تجمع بين مجموعة أفراد من الطبقة الوسطى ليشكلوا قوة اقتصادية اجتماعية، مثلاً حين تأسست التعاونيات الزراعية أسست مع الفلاح نظام الجمعيات الفلاحية التعاونية والزمّت كل الفلاحين المنتفعين من الإصلاح الزراعي على مستوى القرية أن ينضوا في هذه الجمعية وهي تؤمن للفلاحين مستلزمات الإنتاج لاستثمار بشكل جماعي لأنهم يصنعون قوة اقتصادية اجتماعية للاستثمار، لكن تحولت فيما بعد هذه الجمعيات لتكون متعددة الأغراض وأصبحت تؤمن المستلزمات دون أي تأثير اقتصادي أو اجتماعي وبقي الفلاح يستثمر بشكل فردي وليس جماعي .
- قبل الأزمة سمحت الدولة بإنشاء الشركات الأسرية لكن لم يتأسس شيء على أرض الواقع لأن هذه الثقافة انتهت وبالتالي كان يفترض أن يتمأسس التكوين الاجتماعي على مبدأ تكوين الجمعيات والتعاونيات والتحالفات بين مجموعة أفراد من الطبقة الوسطى الذين يشكلون تجمع اقتصادي يستطيع تطوير مستلزمات الإنتاج وتطوير الإنتاج ويعطي أشكال جديدة للإنتاج ويتبنى الأفكار الإبداعية في الإنتاج
- تحدث الاستثمارات عن طريق توظيف الأموال وتشغيل الناس للحصول على فائض قيمة يقاس بعشرات المرات عما تم وضعه في الأساس، لا يمكن لشخص واحد تشكيل ثروة هائلة لأنها ناتج عمل آلاف الأشخاص لتشكيل ناتج عمل بمليارات الدولارات، فائض القيمة يأتي عن طريق تحصيلها من الآخرين وهذا المقصود بالطبقة التي تملك ولا تعمل، فالأساس هو من يولد هذه القيمة وليس من يملك الفكر





حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

المبدع، الإدارة جزء من العملية الإنتاجية لكن هذه العملية لا تقوم على الإدارة وإنما على توظيف الأموال.

- في هذا القرن دخل سوريا قانون التجارة الحرة، وهذا الانفتاح احتاج تنازلات كبيرة ضد الطبقة الوسطى لتحقيقه وقد كان من مسببات الأزمة السورية نزوح كثير من الطبقة الوسطى إلى الطبقة الدنيا.
- الطبقة الوسطى هي الطبقة التي تمتلك ترف التفكير بالتغيير وممكناته وعليها رؤية هذا الموضوع ضمن إطار اجتماعي واقتصادي وسياسي حتى، عند الحديث عن تحولات الطبقة الوسطى نبدأ من تشكيلها وليس التشكل التاريخي وإنما الحالة الأنية، الشكل الأساسي للطبقات اليوم هي أنها تتوالد من ذاتها وهناك سؤال عن أجيال هذه الطبقة فأبناء الطبقة الوسطى القديمة هل بقيوا ضمن هذه الطبقة؟ وأبناء الريف ذات الحالة.
- كان لدينا إهمال للريف وإهمال للمدن الصغرى لأجل المدن الكبرى بالتالي كان هناك صورة نمطية تضاف للطبقة الوسطى هي أنها من أبناء المدن مما دفع الجيل الجديد للبحث عن فرصه في المدن فكان يفقد امتيازات الطبقة الوسطى في مكانه ولا يستطيع إلا أن ينحدر، من جاء إلى المدينة كان يحلم باستعادة المكتسبات التي خسرها ويحلم بعيش الحالة المدنية التي فيها كل ممكنات الحياة، وهذه حالة اغتراب لدى الطبقة الوسطى.
- نخطئ حين نعتقد ان العشوائيات تشكل طبقة فقيرة فهي صحيح أنها بقيت في شكلها الخارجي مناطق سيئة الخدمات لكن في الداخل تطورت مساحة حياة الناس دخلها، وعلى حواف العشوائيات هناك بعض الشركات الكبرى والمصارف ولكن الناس الذين عملوا فيها لم يكن لديهم رفاهية السكن في المدينة.
- هل امتلاك الطبقة الوسطى للسلطة ينقلها إلى طبقة أعلى؟ وهل تتوقف عن الدفاع عن مصالح الطبقة الوسطى التي نشأت منها وتبدأ بتبني خطاب نخبوي جديد، وهذا بالتالي يفقدها شرعية تمثيلها للطبقة التي خرجت منها، هذا جزء من المشهد السوري الذي نعيشه اليوم.
- كان هناك ذراع اقتصادي محرك استطاع في اجتماع الشيراتون شراء مكتسباته فهي مجرد صفقة مع الدولة منحهم المكتسبات السياسية والاقتصادية والحصانة وغيرها
- الليبرالية السورية التي نشأت ضمن نظام التحويل الاشتراكي في عهد الرئيس حافظ الأسد والتي تكرست بعد عام 2000 استطاعت أن تأخذ دور من ضمن المنظومة الاشتراكية وهي تكرر لما حصل في الثمانينات لكنها تكرست وتوسعت أكثر اليوم.
- من يملك القيمة يحكم، القيمة في هذا البلد ليست للاقتصاد، وإلا لكان التجار هم الحكام، واليوم يحدث تحالف بين القيم وهو أيضاً تكرر لتحالفات الثمانينات بين الإخوان وتجار دمشق والعسكر والمشكلة الآن هي في رمزية تقاسم المصالح، ففي الثمانينات كان هناك توزيع مصالح وأنتج نظام استقر حتى عام 2000 لكننا عدنا الآن إلى نفس المأزق.
- اجتماع الشيراتون اتجه بنا نحو مصالح فئة محددة وليس مصالح البلد، من المسؤول عن هموم الشباب الذين رحلوا والذين بقيوا، من المسؤول عن الإسكان والتنمية والحرف اليدوية؟ هناك تدهور كبير في



حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

الطبقة الوسطى وتجارها بسبب الإغراق بالبضائع الأجنبية الأرخص ثمناً، فتح هذا الباب للصناعات والاستثمارات الخارجية ألغى وجود الطبقة الوسطى.

- الطبقة الوسطى ليس لديها الحاجة لقيادة ثورات في الأساس وإنما تعمل على التغيير السلمي والهادئ، لهذا حين بدأ حراك عام 2011 لم يخرج فيه طبقات وسطى وإنما طبقات فقيرة تم تهيجها.
- لدينا احتكار وبيئة فساد وليس لدينا إنتاج ولا نعمل عمل جماعي لأننا لم نؤسس لقيام بهذا العمل، ومن الطبيعي أن يجتاح المشهد السوري من نسميهم دواش والداخل ويستحوذوا على الاستثمارات دون وجود رادع حقيقي لهم وحصولهم على الكثير من الدعم في ظل استمرار الفوضى.
- لدينا مشكلة وهي أن الطبقة الوسطى لأن رأسمالها ضعيف ولا تستطيع المنافسة في السوق فهي لم تستطع الاعتماد على المنتجات التراثية لدينا ولجأت إلى الاستيراد لأن أرباحه أكبر وأسهل ولذا تنازلوا عن الصناعات التقليدية التراثية حيث لم يعد العمل الفردي مجدياً، وكان يفترض أن تسمح الدولة بإقامة جمعيات وتعاونيات تنظم هذا العمل أو أن تسمح للقطاع الخاص بالقيام بهذا الدور ودعم هؤلاء المنتجين، وبهذا كانت أولاً ساهمت في تنمية الريف وأفسحت المجال للمرأة الريفية لأن تعمل بأجر وأسهمت في إشهار اسم سورية خارجاً.
- في سوريا يوجد أكثر من 30 مادة مصنعة يمكن أن تصدر وهي تنافس في الجودة في الأسواق، لكن لم يكن هناك أي دعم وإنما تم تدمير المنتج البشري والصناعي والاجتماعي وتفرغ الناس من قدراتها.
- بعد فتح التجارة والقوانين الجديدة بعد عام 2000 لم يعد هناك حماية للمشاريع الصغيرة ولا لليد العاملة وصارت رؤوس الأموال أغلبها بيد المستوردين من الصين وتركيا.
- منطقة الحريقة كانت من أوائل المناطق التي حصل فيها حراك وبعدها هدأوا ثم أثاروا الحراك ثانية وكان لهم دور قوي لكنهم انضوا تحت جناح حمشو عام 2012، فهؤلاء الناس يعرفون كيف يعملون على مصالحهم ولديهم تواصل مع رجال الأعمال الكبار لكن حتى رجال الأعمال هؤلاء هم بحاجة للطبقة الوسطى، فهذه الطبقة رغم أنها لا تصنع متنافساً لنفسها للتغيير ولكنها جزء من هيكليّة عامة.
- السؤال هو هل فعلاً عبرت الطبقة الوسطى عن نفسها بطريقة عكسية في الحراك بعدم دخولها فيه عن طريق تفاهم غير معلن، أم هل كان هناك مشاركة أفراد فقط؟ أم أن الطبقة شاركت ثم انكفأت؟ نحن نعلم أنها الآن غير موجودة لكن هل كانت موجودة في الأساس؟
- الطبقة الوسطى لأنها واسعة ومتنوعة ولأن هذا المصطلح لا يغطي جميع الفئات البينية في المجتمع السوري فبالتالي مصالحهم مختلفة ومقاربتهم للأمور وتعاطيهم معها مختلف وبشكل عام كان سلوك هذه الطبقة جزء من الصيرورة السورية وليس إدراكاً منها لأخطار أو توجهات معينة للحراك وإنما طبعها انكفائي.
- الدولة تهتم اليوم بالاقتصاد الكلي ولذا أعادت عقد تحالفات مع التجار الكبار وسارت في ذات مسار الثمانينات ومن هنا أصبح هناك اهتمام حكومي بطبقة معينة ونسيان الطبقات الأخرى.





حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

مقترحات وتوصيات:

- ثمة مخرج هو أن تمتلك الفئة المسيطرة الجراة لتفتح الطريق رويداً رويداً لتعيد التصالح الاجتماعي الذي يسمح بولادة حركات سلمية هادئة تصل إلى ما يريده المجتمع ككل بشكل هادئ وليس عنفي يدمر المجتمع.
- رأس المال الاحتكاري هو صنعة العالم الثالث وتخلقه مجموعات مافوية ضمن جهاز الدولة. قوانين المجتمع والقوانين الاقتصادية يجب أن تمنع الجشع اللامتناهي لأي شخص يسطاد في الفساد، فكلما كانت هناك بيئة للفساد سيتجه التجار وأصحاب المشاريع إلى أفكار غير قانونية ولكن عندما يسود القانون لا يعود هناك تنافس مصالح بالمعنى القاتل، مثلاً في الغرب هناك خدمة مجتمعية بين الشركات وهناك تعاضد بين الطبقة الوسطى والطبقة الأكبر وهنا تشابك مصالح بينها، أما في بلادنا هناك تشكيل طبقة وسطى عشوائي بسبب التحكم في الآلية الاقتصادية وتخريب المجتمع الاقتصادي، وأرى أن محرك الثورات كان الطبقة الفقيرة والطبقة الوسطى ركبت هذه الثورات.
- نريد أن تكون الطبقة الوسطى أو الشرائح المختلفة لها قدرة على موازنة الوضع في المجتمع في وجود ثروات هائلة تراكت دون قيمة حقيقية مقابلة.
- أكثر ما يجب التساؤل عنه هو هل الطبقة الوسطى غير موجودة؟ أم أنها موجودة وعلينا تفعيلها؟ كمجتمع مدني كيف يمكننا تشغيل الموجود منها حتى بتقسيماتها، وكيف تستطيع البرجوازية الصغرى إحداث تغيير، مشكلة الوعي واضحة وصريحة، أي وعي هذه الفئة بذاتها وعدم وعيها لمصالحها، أن نبحث عما يجمع هذه الطبقة ببعضها
- المشاركة في الشأن العام هي ما يحدد وجود الطبقة وإن لم تشارك فهي مهما كانت تملك من أموال أو علم وثقافة فالمشاركة هي المعيار. إذاً فمهمتنا نقل هؤلاء الأشخاص ليصبح لديهم قدرة ورغبة بأن يكونوا فاعلين لأن الأزمات تخلق فرص، وكل تهديد يتضمن بداخله فرصة، فعلياً التفكير كمجتمع مدني كيف نتعامل مع هذه الفئة لنقلها للوضع المرجو منها.
- هناك حل مناسب للجميع هو تحالف البرجوازية الوطنية مع منظمات المجتمع المدني لإنتاج حالة قادرة على التأثير على الأرض، عند التحرر من تمويل المنظمة الأجنبية وحتى من الجهات الحكومية وبناء تحالف مع الطبقة الوسطى المحلية والعمل معها لإحداث التأثير.
- أي إهمال في حق الطبقة الوسطى وقتل التعبير عن رأي الطبقة يعتبر توجه لتوسيع الفجوة بين الفقراء والأغنياء لتصبح سوريا مثل مصر مثلاً، وإن كان هذا التوجه موجوداً فعملنا هو تحليل هذا التوجه وتفكيكه.





حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

- يجب دراسة تجربة الثمانينات حيث مرت سوريا في مرحلة كان فيها تجار فاعلين وقادرين على التغيير وكان فيها أحزاب أيضاً قادرة على التغيير وكانت الطبقة الوسطى حينها قادرة على التعبير عن نفسها.
- يجب ان يعمل المجتمع المدني على مأسسة مسار للطبقة الوسطى نظير للمسار الحكومي عندما تعاقد مع التجار وأن يتم وضع هذا المسار في يد الدولة بقيادة المجتمع المدني وهذه هي الطريقة التي درسنا بها التعاونيات الزراعية من عام 58 حتى الآن وكيف كانت مساراتها وكيف نستطيع العمل بعد الأزمة لإنشاء اتحادات بديلة لتأطير عملها وتطويره لتكون تعاونيات اجتماعية قادرة على تطبيق القانون على أرض الواقع وتحقيق المنفعة للمجتمع.

في الختام:

حتى لو كان هناك سلطة عادلة وكان هناك مراكز قوى تسعى لتحقيق مصالحها، فإن الأمور ستتجه باتجاه تحقيق مصالح مراكز القوى، وطالما هناك أصحاب مصالح غير معبر عنهم ضمن مراكز القوى وغير قادرين على حرف الاتجاه باتجاه مصالحهم فمصالحهم لن تتحقق مهما كانت السلطة الحاكمة ومهما كانت المرحلة وبالتالي سيحصل استنزاف لمصالح طبقة من الطبقات.

حركة البناء الوطني

